لودفيج فتجنشتين من اللغة المنطقية إلى منطق اللغة

محمود شوكت شتيه *

ملخص

تهدف الدراسة الحالية إلى رصد وتتبع تحولات فلسفة اللغة لدى لودفيغ فتجنشتين من اللغة المنطقية إلى منطق اللغة، أو من التحليل إلى المنطق بلغة ثانية، أو من فلسفة التحليل إلى فلسفة اللغة بلغة ثالثة، ومقارنة فلسفة اللغة بين المعنى والتوظيف في تلك التحولات، وذلك بالاعتماد على المنهج التحليلي الذي يتضمن تحليل المفهوم أو الفكرة عن طريق تطبيقاتها الجزئية لمعرفة المبدأ الكامن وراءها، ويعمل على تحليل المعرفة الإنسانية وردها إلى مجموعة من البسائط والعناصر الأولية، وتحليل الإطارات التي توصف بها المعرفة الانسانية، أي التحليل اللغوي. وتتمثل أهمية هذه الدراسة في مجموعة من القضايا، لعلّ من أهمها عمق تأثير فلسفة فتجنشتين بشكل عام في مسار الفلسفة الغربية المعاصرة، وأهمية دلالات التحول من معنى اللغة إلى توظيف اللغة في فلسفة فتجنشتين، بالإضافة إلى ندرة الدراسات العربية الفلسفية المعمقة التي تناولت فلسفة فتجنشتين بالبحث والتحليل. وتسعى هذه الدراسة إلى تحديد الجذور والمعالم الفلسفية التي شكلت فلسفة فتجنشتين في مرحلتها الأولى، كما تعمل على البحث في أسباب وكيفيات التحول في فلسفة فتجنشتين في مرحلتها المتأخرة، بالإضافة إلى مقارنة المشروعين الفلسفيين لدى فتجنشتين "معنى اللغة وتوظيف اللغة".

الكلمات الدالة: فلسفة اللغة، فتجنشتين، تحقيقات فلسفية، رسالة منطقية فلسفية.

المقدمة

يمكن النظر إلى مشروع فتجنشتين الفلسفي، كجزء من مشروع فلسفي كبير ابتدأ في القرن التاسع عشر، واستمر في القرن العشرين من أجل محاكمة الميتافيزيقا وامتحان صلاحية مقولاتها، ثم تطور هذا المشروع نحو أهداف أكثر جذرية تتصل بالتقويض الكامل للميتافيزيقا، ويبدو أنّ الفلسفة النقدية التي شيدها كانط لم تستطع أن تخرج الفلسفة من أزمتها التي وصلت أوجها في عدمية ديفيد هيوم، التي كانت تهدد المسار العقلاني الغربي برمته. لقد كانت الكانطية محاولة فلسفية شمولية لإيجاد حلول عقلانية لإشكالات الفلسفة المزمنة، خاصة ما يتصل منها بالأبستمولوجيا. وإذا اعتبرنا أنّ الانعطافات الكبرى لا تحدث إلا بعد أزمات حادة، فإنّ الفلسفة شهدت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أزمة حادة تمثلت في تخلفها عن ركب التقدم مقارنة بالعلوم، فقد تقدمت العلوم الطبيعية بشكل متسارع نتيجة المنهجيات الجديدة والفعالة التي اتبعها العلماء، التي اعتمدت التجريب والموضوعية والدقة والصرامة والتحديد. كل هذا شكل حافزا للفلاسفة لكي يراجعوا تاريخ الفلسفة بحثاً عن الأسباب التي أدت إلى إخفاقها وعدم قدرتها على تحقيق إنجازات وفتوح مهمة مثل بقية العلوم الطبيعية. ويمكن القول إنّ الانعطافة اللغوية في الفلسفة قد جاءت بعد تفاقم هذه الأزمة في نهاية القرن التاسع عشر. هكذا، وعلى نحو غير متوقع تحوّل الاشتغال الفلسفي "من البحث في بنية الفكر والمعرفة إلى البحث في بنية اللغة" (العطاري، 2005). وقد اتخذت الانعطافة اللغوية في الفلسفة مسارات متعددة، ولكننا نستطيع أن نميز خطين أساسين: الخط الأول يتمثل بفلسفة التحليل اللغوي التي افتتحها فلاسفة كبار أهمهم مور، وراسل وفريجة وكارناب، والخط الثاني هو الثورة الألسنية التي قادها سوسير، التي اتخذت الطابع البنيوي وكان من أعلامها رولان بارت وميشيل فوكو وجاك دريدا وليفي شترواس. تكمن أهمية فتجنشتين أنه يمثل كلا الاتجاهين، وهو يعد مرجعاً مهما لكليهما، وتشكل مفاهيمه ومقارباته أساساً نظرياً لكليهما.

وتأسيساً على كل ما سبق تتلخص مشكلة الدراسة في السعي إلى رصد وتتبع تحولات فلسفة اللغة لدى لودفيغ فتجنشتين من اللغة المنطقية إلى منطق اللغة، أو من التحليل إلى المنطق بلغة ثانية، أو من فلسفة التحليل إلى فلسفة اللغة بلغة ثالثة، ومقارنة فلسفة اللغة بين المعنى والتوظيف في تلك التحولات.

* قسم الفلسفة، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، الأردن تاريخ استلام البحث 2017/04/05، وتاريخ قبوله 2017/12/22.

© 2019 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

أهمية الدراسة

تتمثل أهمية الدراسة في مجموعة من القضايا، لعل من أهمها عمق تأثير فلسفة فتجنشتين بشكل عام في مسار الفلسفة الغربية المعاصرة، وأهمية دلالات التحول من معنى اللغة إلى توظيف اللغة في فلسفة فتجنشتين، بالإضافة إلى ندرة الدراسات العربية الفلسفية المعمقة التي تناولت فلسفة فتجنشتين بالبحث والتحليل.

أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى تحديد الجذور والمعالم الفلسفية التي شكلت فلسفة فتجنشتين في مرحلتها الاولى، وتعمل على البحث في أسباب وكيفيات التحول في فلسفة فتجنشتين في مرحلتها المتأخرة، بالإضافة إلى مقارنة المشروعين الفلسفيين لدى فتجنشتين "معنى اللغة وتوظيف اللغة".

منهج الدراسة

سيتم استخدام المنهج التحليلي الذي يتضمن تحليل المفهوم أو الفكرة عن طريق تطبيقاتها الجزئية لمعرفة المبدأ الكامن وراءها، ويعمل على تحليل المعرفة الإنسانية وردها إلى مجموعة من البسائط والعناصر الأولية، وتحليل الإطارات التي توصف بها المعرفة الإنسانية، أي التحليل اللغوي. كما سيتم الاستعانة بالمنهج المقارن لرصد اوجه التقاطع والاختلاف بين فلسفتي معنى اللغة وتوظيف اللغة.

لودفيج فتجنشتين سيرته وجذوره الفلسفية

بالرغم من أنّ فتجنشتين لم ينشر في حياته سوى كتاب واحد هو "رسالة منطقية فلسفية"، إلا أنه حصل عل اعتراف الوسط الفلسفي المعاصر له بوصفه مجدداً في الفلسفة ومبتكراً لمنهجية جديدة في مقاربة الإشكاليات الفلسفية، قديمها وحديثها. وقد امتازت مسيرة فتجنشتين الفلسفية والحياتية بتقلبات وتحولات مفصلية تشي بالغنى والتعدد والديناميكية. لعل هانس سلوجا كان محقاً عندما وصف فتجنشتين بأنه "عاش حياته على مجموعة من مفترق الطرق، بعضها شخصي، وبعضها ثقافي وتاريخي في طابعه. وهذا قبل كل شيء هو الذي جعل عمله أساسياً بالنسبة لنا ما دامت مفترق الطرق التي عاش عليها هي أيضاً ما نعيش عليه إلى حد بعيد جداً"، (سلوجا، 2014، ص 48). وهذا يعني تحديداً أنه عاش تحولات كبيرة في حياته على كافة الأصعدة. لعل تحول عائلته من اليهودية إلى المسيحية يشكل أحد هذه التحولات. وكذلك تحوله المفاجئ من الهندسة والصناعة والتقنية نحو الفلسفة في (1911). ولا يمكن الحديث عن التحولات دون الحديث عن علاقة فتجنشتين برسل، حيث كانت هذه العلاقة محطة مهمة في حياة الرجلين. فقد شهدت هذه العلاقة عصرها الذهبي بين الأعوام (1911–1914م) حيث كان التعاون بينهما "حميماً وعاصفاً وخصباً بشكل ضخم". وقد وصف رسل فتجنشتين بأنه حدث عظيم في حياته وأنه الرجل الصغير الذي تنعقد عليه آمال كبيرة، ولكن هذه العلاقة انقطعت بسبب اشتعال الحرب العالمية، ولم تعد سيرتها الأولى أبداً. صحيح أن فتجنشتين كان قدم ثناءً كبيراً لرسل في "الرسالة المنطقية"، ولكن لم يمض وقت طويل حتى بدا واضحا أن التلميذ قد تجاوز المعلم، ثم خفت الإعجاب شيئا فشيئا للحد الذي وصف فيه التلميذ فتجنشتين أستاذه بأنه كان "سطحياً وتافهاً بصورة لا حد لها"، (سلوجا، 2014، ص 51). بالمقابل صرح رسل "بأن فتجنشتين المتأخر قد تخلى عن التفكير الجاد في الفلسفة"، (سلوجا، 2014، ص 51). وإذا كان بعض الفلاسفة قد تم تقسيم فلسفتهم إلى مبكرة وناضجة، فإن فتجنشتين ربما يحتاج إلى تقسيم ثلاثي يأخذ بعين الاعتبار التحولات المفصلية التي حدثت في فلسفته. وتؤشر إلى ديناميكيته وتحولاته المنهجية إلى صدقه وإخلاصه لقضية الفلسفة وعدم ركونه إلى التحجر والجمود الفكري والثبات على محطة فلسفية واحدة. ولعله من المفيد تقسيم فلسفته إلى ثلاث مراحل متميزة: "1– فتجنشتين المبكر (1914–1930). 2– فتجنشتين المتوسط (المرحلة الانتقالية (1930–1936). 3– فتجنشتين المتأخر (1936–1951)"، (سلوجا، 2014، ص 24). ولو أردنا رصد القضية التي كانت بؤرة لكل هذه التحولات، فإننا سنكتشف بسهولة أن موقف فتجنشتين من اللغة وكيفية عملها هو الذي تمظهرت فيه كل هذه التحولات. فقد نظر إلى اللغة في مرحلته المبكرة وكأنها تمتلك منطقاً واحداً وماهية واحدة، وكان ينظر إليها من منطلق نزعة صورية. إلا أنه تحول بشكل تدريجي للاهتمام بالجانب الإستعمالي للغة ونبذ الرؤية الماهوية وصولاً إلى رؤية للغة بوصفها لعبة. وقد انتهى إلى وضع نظرية متماسكة في ألعاب اللغة لا زالت لغاية اليوم أفضل نموذج لغوي برغماتي استعاره أغلب الفلاسفة ووظفوه في اشتغالاتهم الفلسفية. ويكفي القول إن قطب الفلسفة المعاصر، يورغين هابرماس لم ينخرط في أية اشتغالات

تنظيرية لغوية، بل إنه عمد إلى توظيف نموذج فتجنشتين اللغوي بكفاءة عالية في نظريته التواصلية. ويشير عادل مصطفى إلى أن هابرماس وغادامير رغم اختلاف الرؤى بينهما حول القضية التأويلية إلا أنهما اتفقا على أن "ممارسة لعبة التأويل تعني ممارسة لعبة اللغة"، (مصطفى، 2007، ص 413). وقد وظف الفيلسوف ما بعد الحداثي فرانسوا ليوتار مفهوم لعبة اللغة الفتجنشتيني بكفاءة عالية للتنظير للوضع المعرفي في النصف الثاني من القرن العشرين. ويعتقد ليوتار أن مجتمعات هذه الحقبة أصبحت شديدة التنوع للحد الذي يتعذر فيه وضعها تحت سردية واحدة كما هو حال المجتمعات السابقة. وقد وجد ليوتار أن بالإمكان تحليل الاختلافات بين الحقول المعرفية المتباينة في ضوء مفهوم ألعاب اللغة، ويبرر تلك الاختلافات من خلال حجة تقول بعدم تكافؤ ألعاب اللغة"، (وليامز، 2003، ص 48). ويمكن النظر إلى الما بعد حداثي عند ليوتار بوصفه "مشروعا لغويا عن ألعاب اللغة والسرديات الشارحة" وهكذا يكون مفهوم ألعاب اللغة الفتجنشتيني قادرا عل توصيف وتفسير الاختلاف في النظم المعرفية الذي هو في الأساس تباين في ألعاب اللغة مما يجعل التواصل متعذرا. فإذا كانت فلسفة ما بعد الحداثة ممثلة بليوتار لم تجد نموذجا تحليليا لغوياً يقارب حالة ما بعد الحداثة سوى نموج فتجنشتين، فإن هذا يؤشر لعمق التأثير الذي مارسه فتجنشتين في الفلسفة المعاصرة. لقد كان هدف فتجنشتين من وراء نحت مصطلح "ألعاب اللغة" هو لفت الأنظار إلى أن "اللغة فاعلية محكومة بقواعد، وعل خلاف نموذج الحساب الذي ظهر في الرسالة، فإن هذا الاستشهاد بالقواعد لا يعدّ اللغة نسقا من القواعد الدقيقة والصارمة وإنما يهدف إلى توضيح مفهوم مختلف عن العلاقة بين القواعد واللغة"، (سلوجا، 2014، ص 25).

لودفيغ فتجنشتين، التحولات

ربما يكون الوصف المناسب الذي ينطبق على فلسفة فتجنشتين (وحياته) أنها كانت فلسفة متحولة، بمعنى أنها تطورت من خلال سلسلة من القطيعات. فالتحولات التي ظهرت في فلسفته ظهرت كلها على شكل قطيعات. ويبدو أن فتجنشتين دخل عالم الفلسفة من خلال شوبنهاور، وربما يكون لهذا دلالة عميقة تستحق التأمل. فالمعروف عن شوبنهاور أنه تنكر للتراث العقلاني الغربي واعتبره زائفاً، وأسس مذهبه الفلسفي على فكرة الإرادة وليس العقل. وقد لاحظ بعض المفكرين وجود نزعة ميتافيزيقية ورثها فتجنشتين عن شوبنهاور، إلى جانب نزعته الوضعية. وتتضح النزعة المثالية من خلال مذهب الأنا وحدية (solipsism) الذي ورثه من شوبنهور. ويشير عزمي إسلام أن موريس كورنفورث Maurice Cornforth (1909–1980) قد شخص هذه المسألة في مؤلفات فتجنشتين، حيث أكد "أن فلسفة فتجنشتين قد تسللت إلى المثالية الذاتية في صورتها الأكثر تطرفا، وهي صورة الأناوحدية، وهي في نفس الوقت ترفض الاعتراف بأنها قد فعلت ذلك، وقد تمت هذه الخدعة تحت ستار مبدأ شليك Moritz Schlick (1882–1936) في التحقق"، (اسلام، 1965، ص 34). ويمكن الاستدلال على نزعته المثالية المبكرة من خلال مذكراته التي كتبها قبل أن يؤلف الرسالة المنطقية. ويشير عزمي إسلام أن هذه المرحلة الأولى من تفكير فتجنشتين انتهت في العام (1911م). أما بخصوص المرحلة اللاحقة التي تعد بمثابة فلسفته الأولى، فإنها برأي إسلام قد امتدت من العام (1911 وحتى العام 1930). وفي هذه الفترة نشر فتجنشتين الرسالة المنطقية في العام (1921). وكذلك مقاله المعنون "بعض ملاحظات على الصورة المنطقية"، الذي نشره في العام (1929). وتتميز هذه المرحلة الفلسفية بالتأثر الكبير بفلسفة رسل، بالإضافة إلى فلسفة فريجه. ومسألة التأثير هذه لا ينكرها فتجنشتين، حيث نوه لها في مقدمة الرسالة. ومن الواضح أن فتجنشتين تأثر كثيرا بكتاب "مبادئ الرياضيات" الذي وضعه رسل بالتعاون مع ألفريد وايتهيد. ويرى إسلام أن المنطق الجديد الذي أرساه كل من رسل Bertrand Russell (1872–1970) وفريجه Gottlob Frege (1848–1925) كان بمثابة البوابة التي دخل من خلالها فتجنشتين إلى عالم الفلسفة، (اسلام، 1965، ص 46). ويأتي التحول الفلسفي المهم في حياة فتجنشتين في مرحلة ثالثة هي مرحلة الصمت الفلسفي التي استمرت قرابة العقد، التي بدا فيها فتجنشتين وكأنه قد هجر الفلسفة بالكامل. وإذا كنا نتكلم عن الصمت الفلسفي، فإن ذلك يعني تحديدا الصمت عن التأليف الفلسفي، لأن فتجنشتين قد كتب الكثير من الملخصات والمحاضرات والملاحظات في هذه الفترة. ويشير هانس سلوجا أن فتجنشتين في هذه الفترة تحديدا قد غير الكثير من أفكاره حول اللغة بشكل جذري، (سلوجا، 2014، ص 24). تبع ذلك تحولا مفصليا في فلسفته هو التحول الأخير الذي يمكن اعتباره بمثابة المرحلة الرابعة من تحولاته. وإذا كنا سنضع عنوانا لهذه المرحلة، فإنه سيكون بالتأكيد "تحقيقات فلسفية"، الذي يمكن عده أهم إنجاز فلسفي له. وكتاب التحقيقات مكون من جزأين، نشر أولهما في حياته، حيث كان انتهى منه في العام (1945م)، أما الجزء الثاني فقد قام بتأليفه بين عامي (1947 و1949)، وتم نشره بعد وفاته. وبالرغم من كل هذه التحقيبات حول مسيرته الفلسفية، إلا أن الباحث المتعمق حول فلسفته يستطيع أن يكتشف الوشائج القوية التي تربط الرسالة المنطقية بكتاب التحقيقات، حيث إنّ فتجنشتين استبدل مفردة "اللغة" التي شاعت في الرسالة بمصطلح جديد هو "ألعاب اللغة" كما

ظهرت في التحقيقات. كما أنه استبدل حديثه عن حدود اللغة بحديث مختلف حول حدود ألعاب اللغة، (اسلام، 1965، ص 54).

فلسفة فتجنشتين في مرحلته الأولى

واجهت الفلسفة أزمة لا مثيل لها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وتمثلت هذه الأزمة في عجزها عن حل الإشكاليات الفلسفية المزمنة التي ظلت تتراكم دون أن يلوح في الأفق أية بوادر باتجاه الحلول. بالمقابل كان العلم يحقق قفزات هائلة بسبب اتباعه المناهج العلمية الموضوعية والتجريبية، ما حدا بالفلاسفة إلى محاولة اجتراح مناهج مماثلة في مقاربة الإشكاليات الفلسفية. وقد شهدت الحقبة التي سبقت ظهور لودفيج فتجنشتين أزمات طاحنة في الفلسفة تبدت في عجزها الكامل عن حل الثنائيات التقليدية مثل ثنائية الذات والموضوع والجدل القائم بينهما، وكذلك ثنائية الفكر والوجود التي خلقتها الفلسفة الديكارتية، بالإضافة إلى المسائل الميتافيزيقية التقليدية كالحرية الإنسانية وخلود النفس ووجود الروح ووجود الله، ومسألة القدم والحدوث للعالم. وجذور الأزمة يمكن تلمسها بوضوح في الفلسفة الكانطية، حيث كان كانط قد توصل إلى رأي بخصوص المعضلات الميتافيزيقية، عادا إياها قضايا متناقضة. كما رأى كانط أن الدخول في عالم الأشياء كما هي في ذاتها أمر مستحيل، ويقود العقل إلى التناقض. والتناقض عند كانط هو الطريق المسدود الذي لا حل فيه. وذهب كانط أن ما هو متاح أمام العقل هو عالم الظواهر فقط، أما ماهيات الأشياء فهي ليست من اختصاص العقل. وتحدث كانط في البروليغومينا (مقدمة لكل ميتافيزيقا ممكنة) بشيء من التفصيل عن لا جدوى الميتافيزيقا بسبب سوء استخدام العقل. حيث يرى أن كامل النتاج الميتافيزيقي قد نشأ بسبب تخطي الحدود الطبيعية للعقل وإخراجه من منطقة اشتغاله المنسجمة مع ماهيته إلى منطقة هو لا يملك أية آليات لإدراكها. وهذه المنطقة هي التي وصفها بالمكان الخالي من التجربة، والمكان الخالي هو المكان "الذي لا يمكن أن نعرف عنه شيئا في الماهيات، أي النومينا"، (كانط، 1967، ص 190). فعندما "يحاول العقل أن يقرر فيما إذا كان العالم محدودا أو لا نهائياً من حيث المكان فإنه يقع في تناقض وإشكال، ورفض كل فرض من هذين الفرضين"، (ديورانت، 1988، ص 346). وعندما نحاول أيضاً تحديد الامتداد الزماني للكون فإننا نقع في نفس التناقض السابق. ويعدّ هذا التشخيص المبكر لأزمة الفلسفة عاملا مشتركا بين كانط وفتجنشتين، لأن فتجنشتين سيقول كلاما مشابها بعد أزيد من قرن حول معضلة الفلسفة المتمثلة بسوء استخدام اللغة وتخطينا لحدودها. والمتفحص لمقولتي كانط وفتجنشتين يدرك أنهما متكافئتان.

ورثت المدرسة التحليلية عن الفيلسوف الفرنسي أوغست كونت Auguste Comte (1798–1857) نزعة نقدية متطرفة للميتافيزيقا، فمنذ أن أسس كونت فلسفته الوضعية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، تأثر به طيف واسع من التيارات الفلسفية والعلمية الطامحة لمواكبة روح العصر الذي عبرت عنها وضعية كونت. وقد اعتبر كونت أن الحضارة الإنسانية قد وصلت إلى محطتها الأخيرة، وهي الحقبة العلمية، بعد أن مرت بالحقبة اللاهوتية والحقبة الميتافيزيقية. ويصنف كونت تاريخ الفلسفة بغالبيته الساحقة تحت مسمى الميتافيزيقا. وقد حدد كونت للفلسفة مهمات جديدة وطالبها بالتنكر لتراثها الميتافيزيقي. وحاول نسف كل التصورات التقليدية عن الفلسفة بهدف تجاوز الميتافيزيقا. فالفلسفة برأيه لم تعد "قولا في الوجود أو أنطولوجيا، وليست بحثا في المبادئ المعرفية الأولى التي تشكل منطق العلم، او الحدود التي عليه أن يقف عندها، وإنما هي قول على القول العلمي، ينطلق منه ويتحرك في مداه"، (بن جاء بالله، 1985، ص 150). وهكذا تصبح الفلسفة عند كونت عبارة عن فلسفة علم، أو أنها فلسفة علمية وبالتالي فإن مسمى فلسفة لم يعد ضروريا برأي كونت. أوردنا هذا النقد الجذري للميتافيزيقا من قبل أهم فلاسفة التيار الوضعي، لأن صدى هذا النقد سيكون واضحا في عصره وما بعد عصره. ونلحظ بوضوح أن فتجنشتين يعيد إنتاج النقد الكونتي ويضمنه في التراكتاتوس دون تغيير يذكر، حيث يشير إلى أن القضايا الفلسفية يجب أن تدور فقط حول فحص مقولات العلم الطبيعي، وهذا يكافئ مقولة كونت أن الفلسفة يجب أن تكون فلسفة للعلم. وهكذا فإننا نستطيع التقرير بشيء من الحذر أن كونت كان مرجعا لفلسفات التحليل والوضعية المنطقية والذرية المنطقية.

تحدث فتجنشتين عن الصمت الفلسفي، بالقول: إن ما لا يمكن التحدث عنه، ينبغي علينا أن نصمت عنه. وهذا الرأي ينسجم مع تصوره للإشكاليات الفلسفية التي لا يراها أكثر من خرق لقواعد اللغة. وإذا ما أضفنا هذا الرأي إلى اعتقاده الذي صرح به أن الفلسفة تترك الأشياء على حالها، بمعنى أنها لا تفعل شيئا حقيقيا لحل الإشكالات، فإن من الممكن التكهن بأسباب دعوته للصمت الفلسفي. هل يمكن القول إنه توصل إلى اقتناع بعدم جدوى البحث الفلسفي؟ وإذا كان توصل إلى هذه القناعة، لماذا واصل الكتابة بعد ذلك؟! حيث إنّ نتاجه الفلسفي ظل مستمرا حتى بعد حديثه عن الصمت. ولكننا إذا نظرنا للأمر من منظوره الخاص حول وظيفة التراكتاتوس فإن الإجابة على التساؤل السابق ربما تكون واضحة، فقد شبه التراكتاتوس بالسلم الذي يتوجب علينا أن نتخلص

منه بمجرد الصعود عليه، حيث تنتفي الحاجة له. ويشير إلى أن القضايا التي يمكن قولها هي قضايا العلم الطبيعي فقط، وأننا يجب أن نصمت عن كل القضايا المتضمنة في التراكتاتوس. ومهما يكن من أمر فإن مقاربات فتجنشتين حول هذه المسألة تعد مقاربات غير مسبوقة، فلم يسبق لفيلسوف أن أسس لنقد جذري في الفلسفة طال حتى مشروعيتها. ربما يكون النقد النيتشوي أكثر جذرية، ولكنه كان نقدا عدميا، في حين كان نقد فتجنشتين عقلانيا، واستطاع أن يؤسس لمقولات راسخة في الفلسفة المعاصرة لم يتم تجاوزها لغاية اليوم، حيث لا زالت مقارباته راهنية.

فلسفة فتجنشتين في مرحلته الثانية

بالرغم من كل الحديث حول قضية التمرحُل في فلسفة فتجنشتين، سواء بتقسيمها إلى مرحلتين أو ثلاث، فإنه لا يمكن فهم مرحلته الثانية إلا بالرجوع إلى المرحلة الأولى، وخاصة الرسالة المنطقية. يشير فتجنشتين إلى هذه القضية بالقول إنّ كتابه (تحقيقات فلسفية) يجب "مقاربته في ضوء أعماله السابقة، لأن هذه الأفكار الجديدة لن تُفهم كما ينبغي ما لم تتم مقابلتها بطريقة تفكيره القديمة"، (فتجنشتين، 2007، ص 11). وهذا يقودنا للقول إن الرسالة المنطقية لا غنى عنها في فهم "التحقيقات". وعندما يجري الحديث عن المرحلة الثانية في فلسفة فتجنشتين، فإن الحديث يدور في الأغلب حول كتابه "تحقيقات فلسفية"، الذي يعبر بشكل أمين عن هذه المرحلة. وكان فتجنشتين ينوي نشر "الرسالة" و"التحقيقات" ضمن مجلد واحد من أجل إتاحة الفرصة للمقارنة بين المرحلتين المتباينتين في سياق تطوره الفلسفي. ويتضح من سيرة فتجنشتين أن هناك انقطاع زماني بين المرحلتين كان قد دخل خلاله في حالة من الصمت الفلسفي عندما اعتقد أنه قدم كل الأجوبة للمعضلات الفلسفية، ولم يعد ثمة ما يقال. ويتضح أن فتجنشتين قد توقف بالفعل منذ العام (1920) عن كل نتاج فلسفي وانصرف لامتهان عدة مهن متناقضة. منها "أنه كان بوابا وعاملا في حديقة أحد الأديرة ومهندسا بارعا تصور وسهر على إنجاز بناء منزل إحدى أخواته، وقد أصبح هذا المنزل فيما بعد، مثالا في الهندسة المعمارية يحتذى به"، (فتجنشتين، 2007، ص 14). وقد استمرت فترة الصمت الفلسفي حتى العام (1928). وربما تكون السمة المميزة للمرحلة الثانية هي تبلور فلسفة الألعاب اللغوية التي تعبر بأمانة عن هذه المرحلة. وقد وضع فتجنشتين بعد عام (1933) كراستين تشكلان ما يمكن اعتباره تمهيدا لكتاب "تحقيقات فلسفية". وقد عرفت هاتان الكراستان بالزرقاء، والبنيّة، لا لشيء سوى للون الكراسة. وقد كان السؤال المركزي الذي تمحورت حوله هاتان الكراستان هو: "ماهي العلاقة بين الألفاظ والأشياء التي تشير إليها"، (فتجنشتين، 2007، ص 17). وقد انتقل هذا السؤال إلى كتاب التحقيقات وأصبح هو السؤال المركزي فيه.

شغل فتجنشتين في المرحلة الثانية بقضية اليقين الفلسفي. وقد عبر عن هذه القضية بالتساؤل: هل أن اليقين يعدّ شرطا أساسيا من أجل التأسيس للمعرفة. وفي هذه القضية المهمة، نبه فتجنشتين إلى منبع مهم من منابع الميتافيزيقا، وهو متصل بالفلسفة الديكارتية، حيث ذهب ديكارت أن الشرط الأول للمعرفة هو اليقين، وربما اليقين المطلق. ولكن فتجنشتين لا يستطيع أن يتصور أي معنى مطلق لليقين، بل يعتقد أن قضية ما تكون صادقة ويقينية ضمن شبكة من القضايا التي تنتمي لها هذه القضية، ويجب "أن تتسق بمعناها مع معنى نسق القضايا التي هي جزء منها والمقبولة عمليا كصادقة"، (متياس، 2002، ص 103). وهنا تظهر عند فتجنشتين نزعة أداتية واضحة المعالم لا تؤمن بالمطلقات أو البحث في الماهيات. واستنادا لهذا التصور النسبي لليقين فإنه لا يعود ثمة فرق بين القضايا التحليلية والقضايا التركيبية. وهذا يقود إلى إزالة الفارق الذي وضعه كانط بين المسائل الحسابية والمسائل الفيزيائية، ويصبحان على نفس الدرجة من اليقين. وهذا يقود إلى قضية في غاية الأهمية تتصل بفلسفة العلم: "لا تستمد القضية التجريبية صدقها ويقينها من علاقة التوافق بينها وبين الواقعة التي تشير إليها، ولكن من علاقة الاتساق أو عدمه التي تربطها مع النسق الفكري الذي تشمله كجزء"، (متياس، 2002، ص 109). ولو تفحصنا هذه المقولة لوجدنا أنها تمثل الصورة العلمية لمقولات فتجنشتين حول قضايا اللغة. وما يستفاد من تحليلات فتجنشتين أنه لا وجود لقضية منعزلة يتم التعامل معها كذرة مفردة معزولة وعلينا التقرير ما إذا كانت صادقة ويقينية أو كاذبة، فلا وجود لهذا النوع من القضايا، وما يوجد حقيقة هو أنساق، وكل نسق يحتوي على مجموعة من القضايا المرتبطة فيما بينها بشبكة من العلاقات. ولذا، فإن يقينية أية قضية مرتبطة دائما بنسق ما، كما ومن غير الوارد المقارنة بين الأنساق المختلفة للحكم بأفضلية نسق على آخر. فقد أوضح فرانسوا ليوتار Jean-François Lyotard (1924–1998) من خلال توظيفه لمفاهيم فتجنشتين حول ألعاب اللغة " أن كل نسق يمتلك لعبة لغوية تخصه، ولا يمكن إقامة أي تواصل بين لعبة لغوية وأخرى، مما يجعل كل نسق مستقل تمام الاستقلال عن الآخر. وعندما نمحي الفروق بين الأنساق ونلجأ إلى دمج الألعاب اللغوية انسياقا وراء تشكيل سردية كبرى فإننا هنا نكون قد وقعنا في فخ الميتافيزيقا. وقد أوضح ليوتار أنه من غير الممكن تشكيل فلسفة واحدة شارحة لكافة المستويات والأنساق، لأننا بذلك سنعاود الانطلاق نحو الميتافيزيقا. وهكذا فإن بحث ديكارت

عما أسماه اليقين المطلق الذي لا مجال فيه للخطأ لا معنى له عند فتجنشتين. وتنحصر المعرفة عنده "في إطار القضايا القابلة للخطأ، للجدل، للبرهنة، ولكن عند فتجنشتين المهم في هذه الحالات ليس إمكان تثبيت صدق القضية، ولكن تأسيسها"، (متياس، 2002، ص 110). وإذا كان الكثير من الفلاسفة قد انشغلوا في قضية البحث عن اليقين المطلق، فإن فتجنشتين، على العكس من ذلك، اهتم بتوضيح "عدم فائدة المطلق ولفت الانتباه إلى النسبي"، (فتجنشتين، 2007، ص 45).

اتجهت بعض التيارات الفلسفية للتصدي للإشكاليات المرتبطة باستعمال اللغة، حيث ساد اعتقاد في بعض الأوساط الفلسفية أن اللغة الفلسفية ربما تكون هي مصدر القصور في تاريخ الفلسفة، ما يستلزم البحث عن لغة جديدة في التعبير عن الإشكاليات الفلسفية تتسم بالدقة والوضوح والموضوعية والخروج من التباسات اللغة العادية وغموضها وتهويماتها ومجازاتها. وقد شكلت الرياضيات بالنسبة لبعض الفلاسفة مثلا أعلى يحتذى به من حيث دقتها وموضوعيتها ولغتها الرمزية التجريدية التي لا تقبل التأويل أو الفهم الخاطئ والملتبس. ومن أشهر هذه المحاولات في تاريخ الفلسفة ما اقترحه الفيلسوف الإنكليزي برتراند رسل (Bertrand Russell) (1872–1970) والفيلسوف الألماني رودولف كارناب (Rudolf Carnap) (1891–1970) من لغة جديدة تشبه لغة الرياضيات تكون قادرة على التعبير عن مواضيع الفلسفة. وقد أطلقوا على هذه اللغة مسمى اللغة الاصطناعية(Artificial Language). لقد شكل غموض اللغة العادية مصدر إحباط لكل المشتغلين بالفلسفة حتى بات من المألوف ظهور نزعات لتجاوز اللغة العادية واجتراح لغة خاصة بالفلسفة. وعلى العموم فقد تبدى للمشتغلين بالفلسفة القصور المتعلق بالمنهجيات الفلسفية. ما جعل قضية البحث عن منهج فلسفي هو الشغل الشاغل لفلاسفة نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وقد سادت في هذه الحقبة توجهات نحو الصورية كمخرج محتمل للخروج من أزمة الفلسفة. ويمكن القول إنّ الإشتغالات الفلسفية الصورية وما رافقها من نجاحات وإخفاقات شكل أرضية مناسبة وإرهاصا قويا لظهور المنهج اللغوي الجديد في الفلسفة. وبالرغم من أن النزعة الصورية تراجعت عند كافة فلاسفة التيار اللغوي، إلا أنها تبقى مرحلة مهمة في تاريخ الفلسفة لا يمكن فهم فلسفة القرن العشرين بدونها. لقد كانت الصورية محطة مرحلية في تاريخ الفلسفة، ولكنها هي التي شكلت جل الجدل الفلسفي الذي أحدث منعرجا كبيرا في تاريخ الفلسفة عرف فيما بعد بالمنعرج اللغوي. أدت الإنزياحات المنطقية في فكر فتجنشتين إلى ربطه بالإشكالية اللغوية بشكل وثيق، بل أن الإشكالية اللغوية أصبحت عنده هي الإشكالية المركزية. والارتباط بين المنطق واللغة ارتباط راسخ وقديم، فعلم المنطق الذي أسسه أرسطو استند في أسسه على اللغة، حتى أننا نستطيع القول دونما كبير خطأ أن المنطق الأرسطي هو منطق اللغة، واللغة اليونانية تحديدا. وقد أدرك فتجنشتين هذه العلاقة، وأعطى اللغة أولوية متزايدة في مقارباته الفلسفية وصولاً إلى حصره الفلسفة بالتحليل المنطقي للغة. ويطرح فتجنشتين رؤيته للعلاقة بين اللغة والفلسفة على الشكل التالي "العالم يتألف من وقائع أولية، واللغة مركبة أساسا من قضايا أولية تقابل تلك الوقائع الأولية، والفكر المعبَّر عنه بواسطة اللغة يمثل هذه الوقائع، نستطيع إذن تحليل أفكارنا وقضايانا كي نبين صورتها المنطقية الحقيقية، وما لا نستطيع تحليله على هذا النحو لن يكون له معنى يستحق أن نتحدث عنه"، (حمود، 2009، ص 119). أي أن فتجنشتين تحدث عن الصمت الفلسفي بالقول: إن ما لا يمكن التحدث عنه، ينبغي علينا أن نصمت عنه What we cannot speak about we must pass over in silent. (Wittgenstein, Ludwig. 1974, P89). واجه فلاسفة التحليل اللغوي القصور المتأصل في اللغة العادية، فهي لا تلبي الشروط المطلوبة، لأنها أولاً: لا تتألف من قضايا ذرية، وثانيا: لا تصور الواقع على أنه عبارة عن وقائع أولية. وقد كان لفتجنشتين تصورات مختلفة للذرية المنطقية. فالذرات المنطقية عنده تحيل إلى وقائع، ولا تحيل إلى أشياء، في حين أن الذرات المنطقية عند راسل تحيل إلى أشياء، ووضع فتجنشتين تعريف بسيط للواقعة عندما وصفها بأنها "ليست شيئا". وعندما نلاحق مصدر هذا التفريق ودوافعه، فإننا نستنتج أن هذا التفريق يعود في جذوره إلى اللغة نفسها، حيث لا يمكن للأسماء أن تعبر عن اللغة، فالقضايا، برأي فتجنشتين، هي التي تعبر عن ماهية اللغة، فالأشياء لها أسماء، أما الوقائع الأولية فإنه تكون ممثلة داخل اللغة بالقضايا الأولية، والوقائع الأكثر تركيبا تكون ممثلة بواسطة القضايا المركبة، (حمود، 2009، ص 125).

وبالرغم من أن فتجنشتين يتكلم في التراكتاتوس عن لغة رمزية أو لغة خاصة بالفلسفة، إلا أنه لم يكن يؤمن مثل راسل بوجوب اختراع لغة اصطناعية منطقية كاملة للتعبير عن قضايا الفلسفة. وحتى هذا الشكل الغامض من اللغة الرمزية لم يدم طويلا عند فتجنشتين، فقد تخلى عنه بالمطلق، واعتبره خطأ فادحا، (فتجنشتين، 2007، ص 115). ومع توجه فتجنشتين نحو تجاوز الذرية المنطقية، بدا واضحا أنه يتجه للعودة إلى اللغة العادية، وعادت وظيفة اللغة عنده تتخذ الطابع التواصلي الاجتماعي، ولم تعد مقتصرة على تمثيل الواقع الخارجي، (اسلام، 1965، ص 322). ولكن العودة للغة العادية عنده لم تكن مجانية، فقد وضع شروطا في غاية الصرامة لاستخدام هذه اللغة في التعبير عن القضايا الفلسفية. وتحتل تنظيرات فتجنشتين حول مبادئ الاستخدام الصحيح للغة جل اشتغالاته الفلسفية لمرحلة ما بعد التراكتاتوس، فقد ظهرت آليات الفحص اللغوية في كتاب التحقيقات بشكل جلي، وكلها

تصب في هدف واحد هو تجنب الاستخدام الخاطئ للغة. وسوء استخدام اللغة، برأي فتجنشتين، هو الذي خلق كل المعضلات الفلسفية والطرق المسدودة التي وصلت إليها الفلسفة، ويرى فتجنشتين أن كل المعضلات الفلسفية التي أثقلت كاهل الفلسفة كان يمكن تجنبها عن طريق الاستخدام الصحيح للمفردات والجمل. (اسلام، 1965، ص 322).

يرجع الفضل إلى فتجنشتين في تقديم أدلة دامغة حول عدم شفافية اللغة، وقد كانت النظرة للغة قبل فتجنشتين قائمة على اعتبار اللغة وسيطا مثاليا للربط بين الذات والموضوع، وكان يُنظر للغة بوصفها وعاء شفافا لنقل الأفكار، ولكن فتجنشتين خطّأ هذا الاعتقاد وأوضح أن اللغة تتدخل في إعادة إنتاج الفكر، وتفرض شروطها على هذا الفكر، حتى تصبح العلاقة بين الفكر بشكله التجريدي والفكر بشكله اللغوي علاقة شبحية. وهكذا وجد فتجنشتين نفسه مسوقا إلى التعمق في دراسة اللغة من جوانبها المنطقية، فقد انخرط في مبحث السيمانيطيقا (semantics)، التي تعني "التحليل المنطقي لدلالات الألفاظ"، (الخولي، 2014، ص 253)، وكذلك مبحث السينتاطيقا، أي "التحليل المنطقي لبنية اللغة والتراكيب اللغوية"، (الخولي، 2014، ص 253). ويشير فتجنشتين إلى أن "العبارات اللغوية مقطوعة الصلة بالخبرة التجريبية، ولا تعتمد على أية إحساسات يتلقاها شخص ما أو حتى كل الأشخاص، ليس هناك لغة خاصة تعبر عن الخبرة الخاصة، لأن هذه اللغة تشير إلى إحساسات فورية خاصة بالمتكلم لا يعرفها سواه، فيستحيل أن يفهمها سواه"، (الخولي، 2014، ص 253). يشخص فتجنشتين الكثير من عيوب اللغة التي تقود إلى وضع القضايا الفلسفية في قالب لغوي خاطئ. فاللغة برأيه "تفتقر إلى الدقة، حيث الكلمة الواحدة تستخدم بأكثر من معنى واحد"، (حمود، 2009، ص 253). واللغة أيضا لا تتطابق مع المنطق المحايث للفكر، وهي تتحدث في كل شيء بلا حدود. ويشير فتجنشتين أنه لم هناك حدود بين المعنى واللامعنى. فالفلسفة الجديدة القائمة على نقد اللغة ستكون مهمتها الأولى رسم الحدود بين المعنى واللامعنى. ومن عيوب اللغة أنها تقول ما لا يمكن قوله بواسطة اللغة. وكان فتجنشتين قد اقترح، في مرحلته الفكرية الأولى، ومن أجل تجاوز كل هذه العيوب، استخدام لغة رمزية، مثل لغة راسل أو فريجه. غير أن هذا الرأي حول اللغة الرمزية لن يستمر طويلا، حيث نراه يعود للتأكيد أن اللغات الرمزية لا يمكنها أن تعبر عن القضايا الفلسفية، وهي تختزل الفلسفة اختزالا شديدا، ولا بديل عن اللغة العادية شريطة أن نستمر في نقدها لتحقيق الاستخدام الصحيح، والكشف عن مواطن سوء الاستخدام. وبالرغم من بعض الإرباك الذي حصل في فهم موقف فتجنشتين من لغة راسل المنطقية، إلا أننا نعتقد أن موقف فتجنشتين استقر أخيرا على انتفاء الحاجة إلى ابتكار لغة منطقية كاملة. وربما يكون راسل قد فهم خطأ أن التراكتاتوس يدعو إلى تبني لغة منطقية على غرار لغته هو، وهذا ما ضمنه راسل في المقدمة التي أعدها للنشر مع التراكتاتوس. ولكن اعتراض فتجنشتين على هذه المقدمة يدل على أنه لم يكن يفكر ببدائل على طريقة راسل. ويتوجب التنويه هنا أن المنهجيات التي اتبعها فتجنشتين في التحليل اللغوي النقدي للقضايا تثبت بوضوح أنه كان يتكلم على الدوام عن اللغة العادية. كما أن آليات الفحص التي اتبعها تنفي خيار اللغة المنطقية الكاملة. ربما يكون هذا معلما مهما من معالم المرحلة الثانية. وضمن هذه الرؤية اللاصورية للغة طور فتجنشتين في المرحلة الثانية نظريته حول اللغة التي وضعها تحت مفهوم "الألعاب اللغوية". والألعاب اللغوية في مجموعها هي اللغة بلا زيادة أو نقصان.

تموضع فتجنشتين في الفلسفة التحليلية

تبنى فتجنشتين في التراكتاتوس مذهب الذرية المنطقية، وهو مذهب كان قد طوره راسل مع بعض فلاسفة التحليل، ولكن هذا لا يعني البتة أن فتجنشتين كان متلقيا سلبيا لهذا المذهب، بل أنه، وباعتراف راسل نفسه، قدم إضافات جديدة لهذا المذهب تؤهله لأن يكون أحد أعلامه. ويمكن النظر إلى الذرية المنطقية أنها جاءت منسجمة مع روح العلم التجريبي الذي أصبح له دور مركزي في تشكيل المعارف البشرية. وقد طمح الفلاسفة في العصور الحديثة أن يرتقوا بالمعرفة الفلسفية إلى مصاف المعرفة العلمية. والمتفحص للمذهب الذري المنطقي يستطيع أن يستنتج أنه يمثل الصورة الفلسفية للمذهب الردي Reductionism في العلوم. ويقوم المذهب الردي في العلم على أساس أن كل قضية مركبة يمكن التعبير عنها بواسطة مركباتها الأولية. ويذهب أنصار هذا المذهب إلى أنه صالح للتطبيق على كافة الظواهر، سواء أكانت طبيعية أم فكرية، فكل قضية فكرية مركبة هي بالنهاية قابلة للتحليل إلى قضايا أولية، حيث يكون مجموع القضايا الأولية مساويا للقضية المركبة. ومن الواضح أن الذرية المنطقية لا تخرج كثيرا عن جوهر المذهب الردي. والذرية المنطقية مرتبطة بالتصور الرياضي المنطقي للإشكالات الفلسفية. علاوة على ذلك، فقد كان فتجنشتين يؤمن بمبدأ التحقق (Verification)، حيث يرى أن كل قضية لا يمكن التثبت منها بشكل تجريبي تعدّ قضية زائفة، وهنا تكون الذرية المنطقية، قد دخلت مأزقا كبيرا فيما يخص التأسيس لفلسفة الجمال والأخلاق التي تحتاج لحلول. وهذا ينطبق أيضا على التيارات الوضعية بشكل عام. وقد انتهى الأمر بفتجنشتين، وبعد التحديدات التي وضعها على استخدام اللغة، أنه حدد للفلسفة بشكل مسبق ما يمكن

التفكير فيه وما لا يمكن التفكير فيه، وهذه مغامرة فلسفية لا يمكن التكهن بنتائجها على مستقبل الفلسفة.

من الواضح أن فتجنشتين يؤمن إلى حد بعيد بمقولات الفيلسوف الوضعي أوغست كونت، حيث ذهب كونت أن بحث الفلسفة في ماهيات الأشياء هو عمل بلا طائل، ولا يقود إلا إلى تكديس أهرامات من الميتافيزيقا. وبالرغم من أن فتجنشتين لم يكن وضعيا بالمعنى الكونتي، إلا أنه كان وضعيا منطقيا، حيث إنّ أفكار فتجنشتين دخلت في تنظيرات هذه المدرسة، ومن المعروف أن فتجنشتين كان على صلة بهذه المدرسة في الفترة 1927–1929، وكان يحضر لقاءات الجماعة، وعلى صلة وثيقة بأقطابها من أمثال موريس شليك، (اسلام، 1965، ص 351). ويمكن ملاحظة أن الوضعية المنطقية قد اتخذت من التراكتاتوس مرجعية فلسفية نظرية، واستخدمت تحليلاته لتوفير الغطاء النظري لمقولاتها الأساسية. ويمكن ملاحظة أن الوضعية المنطقية قد تطرفت باتجاه التبني الكامل لوجهة نظر فتجنشتين التي بثها في التراكتاتوس، حيث نلحظ أن الفلسفة عندهم أصبحت "منطقا للغة العالم التجريبي كما تبلور في لغة العلم"، (الخولي، 2014، ص 276). لقد أصبح التراكتاتوس بالفعل إنجيلا للوضعية المنطقية.

وجد فتجنشتين نفسه، بسبب اشتغالاته اللغوية، منخرطا بصورة أو بأخرى في فلسفة العلوم، حيث تقدِم فلسفته طرائق مضافة وغير تقليدية للتمييز بين ما هو علمي، وغير علمي. ومن المعلوم أن هذه القضية استغرقت الكثير من الجدل الفلسفي في فلسفة العلوم، فقد ذهب كارل بوبر إلى أن التمييز بين ما هو علمي وما هو غير علمي يستند إلى مبدأ القابلية للتكذيب. ومن الطريف أن كارل بوبر حارب الأفكار المتضمنة في التراكتاتوس، ووصف كتاب بحوث فلسفية بأنه غث وتافه، (اسلام، 1965، ص 255). وربما يقودنا ذلك إلى البحث عن علاقة الفلسفة بالعلم من منظور فتجنشتين. فقد اعتقد أن "الفلسفة ليس لها ما تشترك فيه مع العلم الطبيعي"، (حمود، 2009، ص 249)، لأنه كان قد وحّد بين الفلسفة والمنطق، والمنطق برأيه ليس علما، بل هو منهج في التفكير الصحيح، فإن الفلسفة بدورها لا يمكن أن تكون علما. وهكذا فإن الفلسفة مستقلة عن العلم، وعندما تحاول الفلسفة أن تكون علما فإنها تجد نفسها تنزلق إلى الميتافيزيقا. ويرى فتجنشتين أن الانزلاق نحو الميتافيزيقا يمثل الكارثة التي حلت بالفلسفة، وتفرعت عنها كافة المعضلات التي أثخنت جسد الفلسفة. ويمكن التثبت من صدقية هذا التفريق الحاد بين العلم والفلسفة من خلال التساؤل: ما هو موضوع الفلسفة؟ باعتبار أن لكل علم موضوعاً خاصاً به. ولكننا مهما حاولنا أن ننسب للفلسفة موضوعا فإننا لن نفلح في ذلك، فالفلسفة لم تترك موضوعا إلا وبحثت فيه، ما يثبت أنها لا تمتلك موضوعا محددا. وقد قاد هذا التصور للفلسفة إلى حصرها بمهمة "توضيح عبارات اللغة التي تخفي الصورة الحقيقية للأفكار وتؤدي على الخصوص إلى أن نتعامل مع هذه الصورة وكأنها من طبيعة الوقائع"، (حمود، 2009، ص 251). نستطيع الاستنتاج أن الفلسفة من منظور فتجنشتين هي فحص مقولات العلم الطبيعي، وهي بنظره قادرة على التمييز بين ما هو علمي وما هو غير علمي. فهل نستنتج من ذلك أنها فلسفة علم؟ الجواب على هذا التساؤل ربما يكون بالإحالة إلى الوضعية المنطقية التي تعدّ أحد تمظهرات فلسفة التحليل اللغوي. التي انخرطت في البحث في حدود العلم ورسم خارطته والبت في علمية العلم. ويكفينا الإشارة إلى أن أفكار فتجنشتين قد كان لها أثر كبير في بلورة فلسفة الوضعية المنطقية. وقضية إلحاق فلسفة فتجنشتين بفلسفات العلم قضية متماسكة وتتوفر على الكثير من المعقولية. ويمكن القول إنّ كافة الفلسفات التحليلية، بما في ذلك الذرية المنطقية "ترتبط بشكل أو بآخر بمشكلات المعرفة والعلاقة بعالم العلم التجريبي، لذلك اتصلت اتصالا وثيقا بفلسفة العلم وأفضت إلى واحد من أهم مذاهبها هو الوضعية المنطقية"، (الخولي، 2014، ص 275).

تمثّل الفلاسفة المعاصرون لفتجنشتين الإشكالات الخاصة بأزمة الفلسفة، وحاولوا اجتراح حلول للخروج بالفلسفة من مأزقها. وقد كانت مدرسة التحليل اللغوي مزدهرة بفضل جهود برتراند راسل في المقام الأول. وقد لعبت هذه المدرسة دورا مهما في القرن العشرين إلى جانب فلسفات أخرى كالتجريبية والوضعية والمثالية والبرغماتية. وذهب فلاسفة هذه المدرسة "إلى أن التحليل هو كل عمل الفلسفة أو هو الفلسفة بأكملها"، (اسلام، 1965، ص 67). وهنا نلحظ اختلافا بين الفلسفة من منظور فلسفة التحليل ومنظور العلم، فالعلم يسعى على الدوام إلى بناء معرفة جديدة عن طريق الاكتشاف، في حين تخبرنا فلسفة التحليل أن هدفها هو توضيح "ما نعرفه فعلا من قبل، وذلك بحل المشكلات التي لا تنتج عن جهلنا بالواقع نفسه بقدر ما تنتج من الخلط العقلي وسوء الفهم"، (اسلام، 1965، ص 67). وسوء الفهم والخلط العقلي هنا متأت من مصدر واحد هو سوء استخدامنا للغة. ولذا فإننا نلحظ أن فلاسفة التحليل هجروا كافة المواضيع الفلسفية التقليدية سواء كانت متعلقة بالأبستمولوجيا أو الأنطولوجيا وانخرطوا بالكامل في تحليل اللغة. ويحاول الفيلسوف التحليلي اقتناص ما يعتقده عبارات زائفة كمظهر لسوء استخدام اللغة. والعبارة الزائفة هي العبارة التي تصف شيئا لا وجود له في الواقع. فالفيلسوف التحليلي عندما يسمع الميتافيزيقيين يتكلمون عن الجوهر يدرك على الفور أن لا شيء في الواقع يمكن أن نشير إليه ونقول: هو ذا الجوهر. وقد أصبح هذا المعيار مقبولا في الفلسفة المعاصرة، حيث يشير جاك دريدا Jack Derrida الذي يعدّ أكبر ناقد للميتافيزيقا، أن ما لا يمكن الإشارة إليه هو ميتافيزيقا، وهو يرى مثلا أن مفهوم الوجود هو مفهوم

ميتافيزيقي، فما نراه في الواقع ونستطيع أن نشير إليه هو الموجود وليس الوجود. ويصف دريدا الميتافيزيقا بأنها عملة فاقدة التغطية، فهي نتاج لغوي ولا قيمة لها خارج اللغة. وربما يكون التفكيك الذي جاء به جاك دريدا في الستينيات هو في جوهره نزعة تحليلية قصوى، مع اختلاف يتعلق بعدم اعتراف دريدا بالذات العارفة. ولكن هذا الاختلاف لا ينفي تأثير النزعة التحليلية بالمدرسة التفكيكية. والتحليل عند فتجنشتين هو عبارة عن منهجية للكشف عن القضايا الزائفة أو التي هي ليست قضايا. وهكذا فإن التحليل من منظور فتجنشتين لا يمكن عده فلسفة، بل يمثل وسيلة من أجل "توضيح المشكلات الفلسفية التي إذا ما وضع معظمها تحت مجهر التحليل، زال عنها كل غموض واتضح أنها مشكلات زائفة، أو أنها ليست بمشكلات أصلا"، (اسلام، 1965، ص 75). بل أن أعمق المشكلات في الفلسفة اتضح أنها ليست مشكلات على الإطلاق.

استطاع فتجنشتين، بوفق عزمي إسلام، أن يطبق منهج التحليل، الذي طوره بعد أن ورثه عن راسل، على مجالات متنوعة من مجالات البحث الفلسفي، من أهمها: 1– الواقع الخارجي أو العالم 2– مجالات اللغة والفكر. ويؤكد إسلام أن فتجنشتين، حتى عندما يتكلم عن العالم، فهو لا يتحدث عنه بوصفه هدفا بحد ذاته، بل أن الغاية الأساسية هي تحليل اللغة. وربما يقود هذا الملمح للاعتقاد أن فتجنشتين ينتمي للاتجاه المثالي في الفلسفة. وبالرغم من أن هذا الاعتقاد له ما يبرره ظاهريا، إلا أننا يجب ألا ننساق نحو إلصاق تهمة المثالية بفيلسوف كرس حياته لنقد الميتافيزيقا وقضاياها الزائفة، ما يشير أننا أمام فلسفة جديدة ذات نزعة نقدية جذرية تقود إلى تصورات مادية للعالم. والعالم الخارجي عند فتجنشتين ينقسم إلى وقائع، والوقائع بدورها تنقسم إلا وقائع أبسط، وصولا إلى الواقعة البسيطة غير المركبة وغير القابلة للانقسام، التي ينعتها بالواقعة الذرية. أما أشياء العالم، فإن فتجنشتين لا ينظر إليها بمعزل عن الواقعة، بل أن كل شيء يمكن النظر له بوصفه حاملا لواقعة ما. وتتشكل الواقعة "بناء على اتصاف شيء ما بصفة معينة أو ترابط شيئين أو أكثر على نحو معين"، (اسلام، 1965، ص 102). والواقعة الذرية هي واقعة منفصلة ومستقلة عن الوقائع الأخرى، ولها بنيتها المستقلة. والوقائع الذرية كما ورد سابقا ليست هدفا بحد ذاتها، لأن تحليل العالم بأكمله ليس هدفا عند فتجنشتين، فالواقعة الذرية ضرورية لكي يصبح للغة معنى. وهنا نعود إلى مبدأ التحقق الذي قررنا أن فتجنشتين يؤمن به بسبب خلفيته الوضعية. فالواقعة الذرية هي بمثابة التحقق الفعلي للقضية الذرية.

يشير فتجنشتين أن دراسة الكثير من الإشكاليات الفلسفية ذات الطابع الميتافيزيقي لا تقود إلى إثبات صحة أو خطأ التصورات الميتافيزيقية، فليس هذا هو الهدف من التحليل، بل يتضح أن هذه التصورات "ليست كاذبة بل هي خالية من المعنى"، (اسلام، 1965، ص 75). وهكذا يمكن اعتبار أن فتجنشتين قد ابتكر طريقة غير مسبوقة للتعامل مع الإشكاليات الفلسفية القديمة التي صمدت دون حل لقرون عديدة دونما نجاح يذكر في حلها، حتى أن الفلسفة أصبح ينظر لها بوصفها لا تفعل شيئا وأنها "تترك الأمور على حالها". وقد اتضح بالفعل أن جل المشكلات الفلسفية التي تمردت على الحل هي عبارة عن قضايا خلو من المعنى. وهكذا نعاود التأكيد أن الفلسفة من منظور فتجنشتين لا تقود إلى انتاج قضايا فلسفية جديدة، بل هي توضيح للقضايا المستغلقة، (اسلام، 1965، ص 77). وهي لا تضيف إلى معرفتنا معرفة جديدة، ولا ينتج عنها مبادئ جديدة. بل هي منهجية تقودنا إلى فرز القضايا التي لها معنى من القضايا الخلو من المعنى. وقد أصبحت مسألة المعنى sense من المسائل المحورية في العقلانية الحديثة، حيث نلحظ أن النظرية النقدية وكما ظهرت عند هابرماسJürgen Habermas (1929–الان) تعدّ أن شرط المعنى هو الشرط الأول من شروط صلاحية الخطاب، واعتبر من شروط العقلانية، باعتبار أن الصلاحية مرتبطة بالعقلانية. ولا يمكن التشكيك أن هابرماس متأثر بهذه المسألة بفتجنشتين. وهكذا قادت اشتغالات فتجنشتين الفلسفية ذات الطابع اللغوي إلى دق ناقوس الخطر وتنبيه الفكر الفلسفي إلى ضرورة الانتباه إلى المعنى، واستطاعت أن تعري الكثير من المشكلات بوصفها خلوا من المعنى. ومن الملاحظ أن فتجنشتين الأول كان متأثرا بمدرسة التحليل بمفهومها القائم على "رد ما هو مركب إلى عناصره البسيطة أو وحداته الأولية". وهذا هو جوهر التحليل كما فهمه راسل الذي تأثر به فتجنشتين الأول كثيرا، فقد بدا فتجنشتين في التراكتاتوس ملتزما بهذا المنهج، "فالعالم عنده بناء على ذلك ينحل إلى وقائع، والوقائع تنحل إلى أشياء أو بسائط، واللغة تنحل إلى مجموعة من القضايا الذرية الأولية، والقضية الأولية تنحل إلى أسماء"، (اسلام، 1965، ص 78). بالإضافة إلى أنّ "القضايا (التي هي المسمى المنطقي للعبارات)، التي تظهر في الكلام هي عبارة عن صورة للواقع الذي تنقله (H¨ulster, Friedrich, 2015, P 39)، ولكن فتجنشتين الثاني سوف يبلور منهجا مختلفا يفترق فيه عن التحليل بمفهومه الذري المنطقي. ومن الملاحظ أن منهجه في البحوث الفلسفية مختلف عن منهجه في التراكتاتوس.

بالرغم من أهمية فتجنشتين، وأهمية مؤلفه التراكتاتوس، إلا أن برتراند راسل يبقى هو الأب الروحي لفلسفة التحليل. ويتوجب علينا التنويه أن راسل كان يمتلك رؤية أكثر شمولية من كافة الفلاسفة الذين مارسوا التحليل. ولم يكن راسل راضيا عن الانحراف

الذي حصل في المدرسة التحليلية، حيث يعتقد أن انزياحا متطرفا وغير مبرر حصل داخل هذه المدرسة نحو التحليل اللغوي، وصرح أن على الفلسفة ألا تهتم بنفسها فقط، بل عليها أن تعود مجددا إلى مهمتها الأساسية، مهمة فهم العالم وتفسيره وتوصيفه. وظل راسل يعتقد أن التحليل اللغوي "قد يكون مسليا لكنه ليس مهماً"، (الخولي، 2014، ص 276).

لم يقتصر تأثير فتجنشتين على التيارات الوضعية والوضعية المنطقية، بل يمكن ملاحظة تأثير فلسفته على فلاسفة ما بعد الحداثة، حيث تشكل فلسفته غطاء نظريا لمقولاتهم خاصة فيما يتصل بموت السرديات الكبرى. ويتضح تأثير فتجنشتين في مؤلف فرانسوا ليوتار، "حالة ما بعد الحداثة" Postmodern Condition. ويذهب ليوتار إلى أن توفير غطاء شرعي للمعرفة لا يمكن أن يستند على سردية كبرى، ويرى أن "العلم يمكن فهمه بالشكل الأفضل عن طريق نظرية فتجنشتين المتعلقة بلعبة اللغة"، (ليشته، 2008، ص 495). حيث يفيد مفهوم لعبة اللغة أن كل شكل من أشكال الخطاب يمتلك لغة خاصة به، لأن إدراك اللغة بكليتها عملية مستحيلة ولا تتأتى لأية فلسفة أو نظرية. وقد طبق ليوتار مفهوم اللعبة اللغوية عل الخطاب العلمي وحدد القواعد التي تتبني عليها هذه اللعبة. وهذا يثبت أن منهجية فتجنشتين الخاصة بتحليل اللغة خلقت أصداء واسعة في كافة التيارات الفلسفية. ونستطيع أن نلحظ بوضوح تبني هابرماس لنظرية فتجنشتين وتضمينها في نظريته عن العقل التواصلي. حيث يرى هابرماس أن المتحاورين يجب أن يتفقوا على قواعد لعبة الحوار قبل الدخول بالفعل في الحوار. واللعبة اللغوية مرتبطة أشد الارتباط بصور الحياة، "حيث إنّ فتجنشتين يعدّ أنّ الفعالية الاجتماعية التي ترتبط باللعبة اللغوية تعدّ جزءاً من اللعبة اللغوية نفسها (Blair, David. 2006, P129).

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

إسلام، عزمي. (1965)، لدفيغ فتجنشتين، دار المعارف بمصر، القاهرة.

بن جاء بالله، حمادي. (1985)، دراسات فلسفية، الدار التونسية، تونس.

حمود، جمال. (2009)، فلسفة اللغة عند لودفيج فتجنشتين، منشورات الاختلاف، الجزائر.

الحيادرة، مصطفى. (2016)، إشكالات الترجمة في بناء المصطلح اللساني العربي، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 43، ملحق 2.

الحيح، سامي. (2016)، المحددات المنطقية للكمية، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 43، ملحق 4.

الخولي، يمنى طريف. (2014)، فلسفة العلم في القرن العشرين، مؤسسة هنداوي للتعليم، القاهرة.

ديورانت، ول. (1988)، قصة الفلسفة، ط6، ترجمة عبد الله المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت.

سلوجا، هانس. (2014)، فتجنشتين، ترجمة صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

شويحط، إبراهيم. (2016)، فض الشراكة المفاهيمية بين النص والخطاب، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 43، ملحق 4.

العطاري، وليد. (2005)، مفهوم الفلسفة عند فتجنشتين، مجلة المنارة، المجلد13، عدد1.

فتجنشتين، لودفيج. (2007)، تحقيقات فلسفية، ترجمة عبد الرزاق بنور، مركز دراسة الوحدة العربية.

كانط، عمانوئيل. (1967)، مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن أن تصير علماً، دار الكاتب العربي، القاهرة.

ليشته، جون. (2008)، خمسون مفكرا معاصرا، ترجمة فاتن البستاني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

متياس، ميشال. (2002)، تصور اليقين عند فتجنشتين، مجلة عالم الفكر، الكويت.

مصطفى، عادل. (2007)، فهم الفهم، رؤيا للنشر والتوزيع، القاهرة.

وليامز، جيمس. (2003)، ليوتار، نحو فلسفة ما بعد الحداثة، ترجمة إيمان عبد العزيز، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

Blair, David. (2006). Wittgenstien, L language and Information, Springer, Michigan.

H¨ulster, Friedrich, (2015). Introduction to Ludwig Wittgenstein's Tractatus Logico Philosophicus translator O'Hea, W. E, y Leibniz Company, Paris.

Wittgenstein, Ludwig. (1974) Tracta tus Logico-Philosophicus, Routledge & Kegan Paul, London and New York.

Ludwig Wittgenstein from Logical Language to the Logic of Language

Mahmoud S. Shtayeh *

ABSTRACT

The current study aims to observe and to follow up the transformations of the philosophy of language by Ludwig Wittgenstein from the logical language to the logic of language, or from the analysis to logic, or from the philosophy of analysis to the philosophy of language, and to compare the philosophy of language between the meaning and employment in these transformations. This is by adopting the analytical methodology, which includes analyzing the concept or idea by means of its partial applications in order to know the underlying principle behind it. It works on analyzing human knowledge and attributing it to a group of simple facts and primary elements as well as analyzing the frameworks by which the human knowledge is described, that is, linguistic analysis. The importance of the study is represented in a group of issues, perhaps the most important of which are the depth of the effect of Wittgenstein's philosophy in general on the course of the contemporary Western philosophy, the importance of the indications of the transformation from the meaning of language to employing the language in Wittgenstein's philosophy, in addition to the scarcity of in-depth philosophical Arab studies which tackled Wittgenstein's philosophy with research and analysis. The study seeks to delineate the roots and the philosophical landmarks, which formed Wittgenstein's philosophy in its first stage. It works on seeking the causes and manners of transformation in Wittgenstein's philosophy in its late stage, in addition to comparing the two philosophical projects by Wittgenstein "the meaning of language and employing the language."

Keywords: Philosophy of Language, Wittgenstein, Philosophical Investigations, A Philosophical Logical Message.

* Department of Philosophy, School of Arts, The University of Joran, Jordan. Received on 05/04/2017 and Accepted for Publication on 22/12/2018.